فلسفة الصيرورة وأثرها في الرؤية والأدب في ما بعد الحداثة

The Philosophy of Becoming: Its Impact on Vision and Literature in Postmodernism

10.35781/1637-000-201-001

د. محمد المحجري*

*أستاذ مشارك - قسم اللغة العربية وآدابها– كلية الآداب والعلوم، 2713، الدوحة، جامعة قطر

الملخص:

تقف هذه الدراسة على فلسفة الصيرورة التي تحل محل الكينونة، وأثرها في الرؤية وفي الأدب. تستقرئ الدراسة بناءً على ذلك تشظي الرؤية في ما بعد الحداثة على مستوى المفهوم وعلى مستوى التمثيلات. على مستوى المفهوم: في انقلاب الرؤية الغربية من عقلانية ديكارت وفلاسفة التنوير الأوائل إلى اللاعقلانية والعدمية، وعلى مستوى التمثيلات: في التأسيس للانسقي واللامرجعي، وفي تلاشي مفهوم الذات، وتحولها إلى ذات متشظية تصنعها خطابات السلطة السائدة وتموضعها اللغة، وفي تقويض مفهوم التعالي. وتستقرئ الدراسة أثر فلسفة الصيرورة في أدب ما بعد الحداثة في التحول من كينونة الذات إلى فقد المرجعية وصيرورة التجريب، وفي التحول من ذكورية التنوير وأنثوية الحداثة إلى خنثوية ما بعد الحداثة.

الكلمات المفتاحية:

الصيرورة، الكينونة، ما بعد الحداثة، الذات المتشظية، نيتشه، هرقليطس.

ISSN : 2410-1818

The Philosophy of Becoming: Its Impact on Vision and Literature in Postmodernism

Dr. Mohammed Almahgari*

*Associate Professor, College of Arts and Sciences, Qatar University
Department of Arabic Language and Literature
malmahgari@qu.edu.qa
معرف أوركيد
https://orcid.org/0000-0001-8849-2860

Abstract:

This study is grounded in a philosophy of becoming that displaces being and examines its impact on vision and literature. Accordingly, it investigates the fragmentation of vision in postmodernism at both the conceptual and representational levels. At the conceptual level, this fragmentation is manifested in the shift in Western thought from the rationalism of Descartes and the early Enlightenment philosophers to irrationalism and nihilism. At the representational level, it is manifested in the establishment of the non-systematic and the non-referential; the dissolution of the concept of the subject and its transformation into a fragmented subject, constructed by dominant discourses of power and positioned through language; and the undermining of the concept of transcendence. The study further examines the impact of the philosophy of becoming on postmodern literature, particularly in the shift from the being of the subject to the loss of referentiality and to experimentation as a process of becoming. It also examines the shift from the masculinity of the Enlightenment and the femininity of modernism to the androgyny of postmodernism.

Keywords:

Becoming; Being; Postmodernism; Fragmented Subject; Nietzsche; Heraclitus.

ISSN : 2410-1818

تمهيد:

من الكينونة إلى الصيرورة: وجذور ما بعد الحداثة[1]:

ظل الفكر الفلسفي يذهب مذهب الكينونة Being الذي يشير إلى الوجود الثابت والجوهر غير المتحول للأشياء في جل مذاهب الفلاسفة، ومثل اتجاه الفكر الفلسفي لدى آحاد الفلاسفة نحو مذهب الصيرورة Becoming التي تشير إلى التغير والتحول الذي لا يتوقف استثناء. تشير المصادر إلى أن الفيلسوف هرقليطس Heraclitus 535- 470 ق.م أول من ذهب مذهب الصيرورة. وتعني الصيرورة أن أساس الوجود هو التغيير والسيولة والتحول، أي أن الوجود في تغير دائم، في مقابل الكينونة التي تعني أن الوجود ثابت وإن كان يقبل التغير. وفي العصر الحديث (ما بعد التنوير) تبنى نيتشه Nietzsche Friedrich 1844- 1900 مفهوم الصيرورة، وكان فكره الفلسفي مبنيًّا عليها إلى جانب مفاهيم أخرى مثل: العدمية، وإرادة القوة، والعود الأبدي.

كان لأفكار نيتشه أثرها المبكر في ما سيعرف بعد ذلك بما بعد الحداثة، حيث امتدت رؤيته للوجود المبنية على الصيرورة لتشكل أساس أفكار ما بعد الحداثة في تقويض السرديات الكبرى Incredulity Towards Metanarratives (كالتقدم، والعقلانية، والعلم...)، وفي تقويض مفهوم الحقيقة، وفي موت الإنسان وتشظي الذات.

1- تشظي الرؤية على مستوى المفهوم وعلى مستوى التمثيلات:

1-1- على مستوى المفهوم:

1-1-1- في التعريفات:

جاء في موسوعة لالاند الفلسفية: "**صيرورة** DEVENIR(F)- BECOMING(E) أ-في مقابل الكون بوصفه ثابتًا: سلسلة التغّيرات، ب-في مقابل الأحوال السكونية... التبدل من حيث هو تبدل، أي بصفته انتقالا من صورة إلى أخرى، من حال إلى حال"[2]. وجاء في المعجم الفلسفي: " التغير في ذاته من حيث إنه انتقال من حال إلى أخرى، ويقابل الثبوت والسكون. وعدها هرقليطس[3] صراعًا بين

---

(1) ما بعد الحداثة بحسب موسوعة ستانفورد: "مجموعة من الممارسات النقدية والاستراتيجية والخطابية التي تستخدم مفاهيم مثل الاختلاف والتكرار والواقعية الفائقة لزعزعة مفاهيم أخرى مثل الوجود والهوية والتقدم التاريخي واليقين المعرفي ووحدة المعنى...". تنظر الموسوعة على الشابكة العنكبوتية في:

"Postmodernism" accessed on 18/9/2021, at :https:
https://plato.stanford.edu/entries/postmodernism /

2 لالاند، أندريه: موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب خليل أحمد خليل (بيروت/باريس: منشورات عويدات، 2001)، ج1، ص271.

3 تنظر ترجمته في https://plato.stanford.edu/archives/fall2015/entries/heraclitus/

ISSN : 2410-1818

الأضداد ليحل بعضها محل بعض، واعتبرها هيجل سر التطور فهي التي تحل مشكلة التناقض بين الوجود واللاوجود"[1]. وجاء في المعجم الفلسفي لجميل صليبا: "والشيء المتصف بالصيرورة نقيض الشيء المتصف بالثبوت والسكون، وهو في حالة متوسطة بين العدم والوجود التام"[2].

وعلى هذا فالصيرورة تحول وانتقال وحركة في مقابل الكينونة التي تتصف بالثبات، وتعني الوجود[3]. وبهذا فالصيرورة مفهوم له علاقة بالوجود والكينونة، وتعني أن أساس الوجود هو التغير، ولا شيء ثابت. وكان الفيلسوف هرقليطس هو أول من أشار إلى هذا المفهوم بقوله: "كل شيء ينساب ولا شيء يسكن، كل شيء يتغير ولا شيء يدوم على الثبات"، "إنك لا تستطيع النزول مرتين إلى النهر نفسه لأن مياها جديدة تنساب فيه باستمرار"[4].

1-1-2- السيرورة تصنع الصيرورة:

مع تشظي الرؤية من عقلانية ديكارت، وفلاسفة التنوير إلى لا عقلانية نيتشه Nietzsche Friedrich 1844- 1900، ومن حتمية قواعد نيوتن Isaac Newton 1642-1726 إلى نسبية أينشتاين Albert Einstein 1879 – 1955، ومن متعاليات المثالية إلى محايثات داروين Charles Darwin 1809- 1882، ومادية ماركس Karl Marx 1818- 1883 واللاوعي لدى فرويد Sigmund Freud 1856 –1939، تشكلت المغايرة والتحولات في الفكر الغربي، وكانت السيرورة تصنع الصيرورة، في مقابل تلاشي الكينونة شيئًا فشيئًا.

في مقابل اتجاه معظم الفلاسفة لمناصرة الكينونة في مقابل الصيرورة، كان نيتشه يذهب مذهب هرقليطس في تأكيد الصيرورة (أنت لا تعبر النهر مرتين) عبر السيرورة الزمنية. الصيرورة التي لا هدف لها ولا متحكم فيها عند نيتشه غير نفسها؛ بدعوى أن الكينونة تقرر الوحدة والثبات ومنحى الموجب وغاية الوجود. يقول نيتشه: "يتضح الإيمان بالكينونة فقط كنتيجة. الباعث الحقيقي هو قلة الإيمان بالصيرورة، الشك في الصيرورة واحتقارها...أيُّ نوع من الناس يفكر هكذا نوع عقيم ومريض، نوع أصابه الضجر من الحياة. إذا تخيلنا النوع المضاد فسنجده غير محتاج إلى الإيمان بالكينونة. بل يحتقر

وتنظر ترجمة محمد خالد مختار النص إلى العربية في مجلة الحكمة على الرابط:
/https://hekmah.org/%D9%87%D8%B1%D9%82%D9%84%D9%8A%D8%B7%D8%B3

1 مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الفلسفي (القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 1983، مادة الصيرورة)، ص108.

2 صليبا، جميل: المعجم الفلسفي (بيروت: دار الكتاب اللبناني 1982)، ص 748.

3 ترد الكينونة في المعاجم الفلسفية المشار إليها بمعنى الوجود في مادته.

4 تنظر شذرات (عبارات) هرقليطس المشار إليها أعلاه في: النشار، علي سامي، وآخرون: هيراقليطس فيلسوف التغير وأثره في الفكر الفلسفي، دار المعارف، القاهرة، ط/1، 1969، ص37. ويمكن مراجعتها في: نيتشه، فريدريك: الفلسفة في العصر المأساوي الإغريقي، تعريب سهيل القش، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط/2، 1983، ص 101–111.

ISSN : 2410-1818

الكينونة باعتبارها شيئًا ميتًا ومملاً، وغير ذي أهمية"[1]. يذهب نيتشه هنا مذهب الصيرورة في معناها الذي يحمل معنى تجدد الكينونة في الوجود بلا انقطاع ودون غاية، فالغاية عند نيتشه ليست إلا العالم نفسه: "لقد وصلنا إلى هدفنا، فنحن الهدف، ونحن اكتمال الطبيعة"[2]. يقول جيل دولوز في سياق طرح أفكار نيتشه عن العدمية: "لقد وصل المرء إلى الشعور بانعدام قيمة الوجود حين فهم أنه لا يمكن تفسيره في مجمله لا بواسطة مفهوم الغاية، ولا بواسطة مفهوم الوحدة، ولا عبر مفهوم الحقيقة... إن الوحدة الإجمالية مفتقدة في تعدد الصيرورة"[3].

إن التحول في الرؤية الكلية للوجود من الكينونة إلى الصيرورة لدى نيتشه تحول عن المسار الفلسفي المؤسس للفكر الغربي طوال تاريخه تقريبًا، وهو في الوقت نفسه تأسيس للعدمية التي ستبنى عليها لاحقًا طرائق التفكير والنظر في ما بعد الحداثة، حيث لا متعاليات، ولا مرجعيات أو سرديات تفسر الوجود والكينونة، ولاحقًا مع التفكيك، حيث لا مدلولات ثابتة أمام الدوال. وتلك انعكاسات واضحة للصيرورة التي لا هدف لها ولا متحكم فيها غير نفسها. ويظهر هذا التحول في الرؤية جليًّا في جملة من التمثيلات، ستقف الدراسة على ثلاثة منها على النحو الآتي:

- التأسيس للانسقي واللامرجعي.
- وتلاشي مفهوم الذات.
- وتقويض مفهوم التعالي.

2-1: على مستوى التمثيلات:

1-2-1: التأسيس للانسقي واللامرجعي:

على مستوى التمثيلات؛ كان الفكر الغربي وإنسانه منذ نهاية الستينيات يتحول عن الصرامة والنسقية إلى مزيد من المرونة واللبرالية بعد خضوع الأنظمة السياسية في أوربا لمطالب الطلبة في المظاهرات التي اجتاحت بعض مدن أوربا وفي فرنسا على وجه الخصوص. وما أن جاءت الثمانينيات حتى ذهب الفكر في ما بعد الحداثة إلى مزيد من الانشطار عن طرائق التفكير الجمعي السابق، وفي مزيد من المواءمة مع جيل التقنيات الرقمية المبكرة.

ذهبت ما بعد الحداثة إلى إنكار الحقيقة، ورفض الحجج، والتشكك في العقل، والتخلي عن التاريخ، وإنكار التعالي. كان نيتشه مؤسسًا وزارعًا، منذ قرن سابق من الزمان، بذورَ تلك الأفكار،

---

[1] نيتشه، فريدريك، *إرادة القوة محاولة لقلب كل القيم*، ترجمة محمد الناجي (الدار البيضاء: أفريقيا الشرق، 2011)، ص221.

[2] نيتشه، فريدريك، *محاسن التاريخ ومساوئه*، ترجمة رشيد بو طيب، (الدوحة: منتدى العلاقات العربية والدولية، 2019)، ص75.

[3] دولوز، جيل: *نيتشه*، تعريب أسامة الحاج، (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، 1998)، ص101.

ISSN : 2410-1818

التي ستتجلى في ما بعد الحداثة. حيث يذهب نيتشه في إرادة القوة إلى أنه لا وجود لكلٍّ من العقل والبرهان والفكر والوعي والروح والحقيقة، فما هي إلا أوهام لا يمكن استعمالها. يقول ألبير كامو: "مع نيتشه تغدو العدمية نبوية. وفيه تصير لأول مرة واعية. وقد تفحصها وكأنها واقعة سريرية. وقد شخص في نفسه ولدى الآخرين عجزاً عن الاعتقاد وزوال الأساس الأول لكل إيمان، أي الاعتقاد بالحياة. وبدلا من الشك المنهجي، مارس النفي المنهجي والتدمير النظامي لكل ما يحجب العدمية عن نفسها. ومن يشأ أن يكون خالقًا، سواء أفي الخير أم في الشر، فعليه أولاً أن يكون هدامًا وأن يحطم القيم" [1].

شكَّلت طرائق التفكير السائدة في زمن نيتشه، إلى جانب إرث العقلانية الغربية، إضافة إلى دخول دول العالم الغربي في حربين عالميتين كبريين، عوامل أساسية في عدم شيوع عدمية نيتشه، القادمة من إيمانه بالصيرورة، وشكيته العالية في وجود مستقر وكينونة ثابتة، إلا أن نشوء جيل الرفاه الذي تلا الحرب العالمية الثانية كان قد أسهم في تخليق طرائق التفكير والنظر والمغايرة التي انشق بها عن طرائق التفكير والنظر السائدة. كانت البنيوية في أوج قوتها في سنوات نشوء ذلك الجيل، إلا أنها ما قوي عودها في الخمسينيات والستينيات إلا وقد كان الجيل الجديد، جيل التقنيات الرقمية المبكرة، قد شب عن طوقه وتمرد على النظمية السائدة.

كانت البنيوية التمثيل الأخير للفكر النسقي الغربي والأكثر صرامة بعد الوضعية؛ إلا الانفتاح الجارف الذي حدث بعد انتفاضة الطلبة في فرنسا وبعض المدن الأوربية في 1968، وانكسار السياسي النسقي الديغولي أمام تلك الانتفاضة، كانا قد أسهما معًا في تراجع الفكر النسقي أمام ذلك التيار الجارف المطالب بحريةٍ دون حدود، وفضاءٍ من الفردانية لا تتحكم فيه مرجعيات محددة سلفًا. لم يكن الفلاسفة والمفكرون في منأى عن تأثير ذلك التيار الجارف؛ تموضع كثير منهم في ما سمي لاحقًا "ما بعد البنيوية"؛ أبدوا ملحوظات جوهرية على التفكير البنيوي النسقي الصارم، وتنكروا لماضيهم وأفكارهم السابقة، وانفتحوا على أفكار جديدة تتلاءم والزمن المعاصر، زمن الصورة المتحركة، والدال الذي اهتزت مكانته في التحديد الدلالي، وراجعوا طرائق تفكيرهم في التمثيلات السابقة التي شكلت نطاق تفكيرهم.

برز فوكو Michel Foucault 1926-1984 ليشكل مثالًا أكثر وضوحًا في ذلك التنكر، بدءًا بكتابه "الكلمات والأشياء" الذي سبق ثورة الطلبة بسنتين، والذي شكل طريقة جديدة أمام العقل الإنساني لإعادة قراءة نفسه خارج صندوق الفكر النسقي السابق. ثم بكتبه اللاحقة: حفريات المعرفة (1969)، ونظام الخطاب (1971)، والمراقبة والمعاقبة (1975) ...إلخ. ما أتاح الفرصة أمام

[1] طرابيشي، جورج، معجم *الفلاسفة*، (بيروت: دار الطليعة، 2006)، ص 680.

ISSN : 2410-1818

المفكرين الآخرين لمنح تصوراتهم فرصًا مختلفة للتفكير غير النسقي[1]؛ ظهرت أبرز تمثلاته في: نظرية التناص لدى جوليا كريستيفا Julia Kristeva 1941-...، حيث لا نسقَ ثابتٌ، ولا نصَّ مؤسسٌ، ولا مرتكزَ أول. ولاحقًا التفكيك لدى جاك دريدا Jacques Derrida 1930-2004، الذي حاول تقويض الفكر الغربي النسقي برمته. فككت "ما بعد البنيوية" مفاهيم الذات، والهوية، والمعنى، وأضفت رؤيتها في الفكر الإنساني عبر النقد الفاحص للمعرفة. وقد مثل كل ذلك الإرث رافدًا مهمًّا نهاية الستينيات وعقد السبعينيات لما سمي لاحقًا ما بعد الحداثة، لتستبطنه بدورها في منهجية جديدة من الرؤية والاشتغالات هي منهجية التفكيك.

2-2-1: تلاشي مفهوم الذات: تأسيس مفهوم الذات المتشظية بفعل اللامعيارية:

كانت الذات الديكارتية الصلبة المتماسكة، ذات الوجود المفكر المستقل، تتلاشى بفعل اللامعيارية في الفكر الغربي بعامة منذ نهاية الستينيات. تشكلت اللامعيارية من مجموعة من الروافد، في مقدمتها رؤية التفكيك التي لا مدلول فيها إلا وينقلب إلى دال جديد في متوالية لا نهائية من الدوال غير المستقرة، وبفعل الافتراضات الشكوكية التي طرحتها ما بعد البنيوية في شأن الذات، حيث لا تنظر ما بعد البنيوية إلى الذات فاعلاً في الهياكل الاجتماعية والسلطوية، بل تنظر إليها أثرًا لتلك الهياكل التي تعيد تشكيلها على الدوام. "اعتقد لاكان Jacques Lacan 1901-1981 وفوكو أن الذات المتماسكة الموحدة المستقرة ليست إلا محض وهم، وبينوا أن ذواتنا هي نتيجة عوامل اجتماعية عديدة، مثل اللغة والجغرافيا والأسرة والتعليم والسلطة، وهي التي تحدد في نهاية المطاف الأنا"[2].

والحقيقة أن تشظي مفهوم الذات الديكارتية قد بدأ باكرًا، مع نيتشه، حين تم تقديم الصيرورة على الكينونة في الاعتبار؛ فالذات ليست إلا رهينةً للصيرورة التي تسيرها سيرورة الزمن، ولا كينونة مستقلة في الوجود. إن المبدأ الديكارتي "أنا أفكر إذن أنا موجود" يتحول مع عدمية نيتشه إلى بنية معاكسة. وإن أمكن القول بأن ديكارت كان مرتكز العقلانية وتأكيد الكينونة في بدايات عصر النهضة، فإن القول يصح بأن نيتشه كان مرتكز اللاعقلانية وتشظي الذات في ما بعد التنوير، وأنه الأب الرائد الذي وضع اللبنات التأسيسية لما سيسمى لاحقًا ما بعد الحداثة.

منذ ما بعد البنيوية وإلى ما بعد الحداثة، تم النظر بارتياب إلى كون الذات والهوية والمعنى أنساقًا تأسيسية، وبدلاً عن ذلك تم النظر إليها على أنها آثار ومآلات، تشكلت بفعل عوامل متعددة أسهمت

---

[1] وجه فوكو نقده للمؤسسات والممارسات والخطابات، ووصف الأسس التي يقوم عليها تفسير الوجود بالهشاشة والكليانية الشمولية التي تشكل عائقًا أمام البحث. ينظر مبحث: ميشيل فوكو محاضرة 7 يناير 1976 في

Newton, K. M. Twentieth-Century Literary Theory. (New York: Palgrave Macmillan, 2nd ed,1997). P,129-135.

[2] أبو رحمة، أماني، *أفق يتباعد من الحداثة إلى ما بعد الحداثة*، (دمشق: دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، 2014)، ص 63.

ISSN : 2410-1818

في تكونها؛ فالذات والهوية والمعنى تتشكل باستمرار بفعل العوامل المؤثرة فيها من حولها، ولكونها مآلات وآثار إشكالية لعوامل تشكلها أكثر من كونها أثرًا فيها، تشكلها اللغة والسلطة السائدة بتعدد أشكالها.

"وهكذا فقد نحَّت ما بعد الحداثة الفكرة الإنسانية التاريخية عن الإنسان العقلاني والموحد، وركزت على الإنسان المتناقض والمتعدد الطبقات. ولم يعد الإنسان أكثر من مجرد مكان وظيفي للغة التي تموضعه. فهو ليس مصدر اللغة ولكنه نتاج متشظٍّ لخطابات مشتتة. وأصبحت (أنا) تدلل على إنسان مختلف في كل مرة بدلاً عن الإنسان الكلي الثابت المتواصل في الزمان والمكان. وبذلك فقد الإنسان حالته الأنطولوجية لصالح اللغة والخطاب... لقد أضحى الإنسان مجرد تركيب اجتماعي ولغوي"[1].

تقطع الكتابات ما بعد البنيوية مع الأبستمولوجيا التقليدية وعقلانية ديكارت، التي كانت تذهب إلى أن الذات المستقلة الواعية هي مصدر الفعل والفكر. وتفكك ما بعد البنيوية مفاهيم الذات والمدلول المتعالي والمركز والكلية؛ فتذهب إلى أن الذات ما هي إلا أثر من آثار الثقافة والمجتمع، تتكوَّنُ فيها ولا تكوِّنها، وتتأثر بها أكثر مما تؤثر فيها، كما تذهب إلى استحالة توصيف أنظمة دالة واضحة، وتنتصر للهامش على حساب المركز، وتقوض مفهوم الكلية[2].

1-2-3: تقويض مفهوم التعالي:

مَوضَعَ فلاسفة التنوير التعالي في صيغ حلولية وسيطة أحلُّوا بها الإلهي في الإنساني، كفكرة الدين بمفهوم الواجب المؤسَّس على الأخلاق الناتجة عن العقل العملي عند كانط Immanuel Kant 1724- 1804[3]، أو فكرة الدين الطبيعي لدى روسو Jean–Jacques Rousseau 1712 – 1778،

---

[1] أبو رحمة، أماني، المرجع السابق، ص 51 و 52.

[2] تأمل العبارات الآتية لجوناثان كالر:"والحق، لم تُثْبِت ما بعد البنيوية أخطاء أو قصور البنيوية وعجزها بقدر ما تحولت عن مشروع استنباط ما يجعل الظواهر الثقافية ظواهر مفهومة، وشددت بدلًا من ذلك على النقد الفاحص للمعرفة، والشمولية، والذات؛ فهي تتعامل مع كل واحدة مما سبق بوصفها أثرًا إشكاليًا. إذ إن بنى أنظمة الدلالة لا توجد بمعزل عن الذات، كموضوعات المعرفة، بل هي بنى للذات التي تتورط مع القوى التي تنتجها". كالر، جوناثان، *النظرية الأدبية*، ترجمة رشاد عبد القادر، (دمشق: منشورات وزارة الثقافة، 2004)، ص 149–150. Jonathan Culler, *Literary Theory: A Very Short Introduction*. (Oxford: Oxford University Press, 1997), p.125.

[3] كان كانط قد أسس لأفكاره عن الدين بمفهوم الواجب بسؤال التنوير في مقالته المشهورة "ما هو التنوير". يقول كانط: "التنوير هو تحرر الإنسان من حالة القصور. والقصور هو عدم القدرة على الاستفادة من الفكر دون توجيه الآخرين. إن هذا القصور لا يكمن سببه في نقص الفكر، بل في نقص العزيمة والشجاعة للاستفادة من الفكر باستقلالية. تحلَّ بالشجاعة لاستخدام عقلك! من هنا جاء شعار التنوير". ينظر:

ISSN : 2410-1818

إذ "يستبعد روسو مثله مثل كل فلاسفة التنوير الوحي الإلهي كأساس لتنظيم المجتمع ويستبدل العقل به" [1]. وما أن جاءت المادية حتى تم إنكار التعالي بشكل جذري في مقابل المحايثة.

لقد كان الارتحال من فكرة الإله بوصفها فكرة مركزية في الوجود في مرحلة ما قبل التنوير، إلى فكرة الإله بوصفها فكرة تكميلية مع التنوير، مقدمة أساسية للارتحال إلى فكرة موت الإله لدى نيتشه، ومن ثم موت الإنسان في ما بعد الحداثة. وتلك إحدى واجهات سلسلة التقويض التي بدأت ولم يعد ممكنًا إيقافها، وانعكاس واضح لمذهب الصيرورة[2]. الأمر الذي هيّأ لـ"إعادة قلب العلاقة بين العقل والإرادة، وتركيب تراتب آخر ينقُض أسس العقلانية التي طورها ديكارت وسبينوزا وهيغل، والتي اعتقدت بجوهرانية العقل، وبنت نظم المعرفة على مبادئه ومناهجه"[3]. واتجهت الرؤية من كون العالم منطقيًّا وسببيًّا وعلائقيًّا لتصبح الرؤية شكّيةً وريبية، ولـ"يبدو لنا العالم منطقيًّا لأننا نحن من مَنْطَقْناه أولًا"[4] بحسب نيتشه. و"فجأة أطلق هوركهايمر وأدورنو على الحداثة "أفول العقل"، ودأب على ذلك كل من تأثر بهم خارج مدرسة فرانكفورت"[5]. وعلى هذا تم تقويض التعالي على مستوى فكرة الإله، وعلى مستوى فكرة المرجعية (أيًّا كانت)، وفي الوقت نفسه تم التشكك في كل الصيغ المتعالية، من الإله إلى الإنسان والعقل.

كان التنوير الغربي قد عكس نفسه على مستوى الرؤية وتمثيلاتها إيجابًا في مفاهيم الحداثة والتحديث والمعرفة العلمية وما نتج عنها من تطبيقات في الواقع، وفي الوقت نفسه عكس نفسه في تمثيلات أخرى موازية ناقض بها تطلعاته الأولى في بناء منظومة حداثية تستهدف حتمية التقدم طوال القرن التاسع عشر والعقود الأولى من القرن العشرين، ثم "كان لمذابح الحرب العالمية الأولى وعواقبها السياسية تأثير مزدوج على الممارسات الفنية كما الخطابات النظرية التي تقوم بتحليلها. في الأنظمة الكليانية التي نشأت عقب الحرب... من أجل صنع مجتمع جديد كليًّا وإنسان جديد"[6]؛ الأمر الذي هيّأ

Immanuel Kant, Toward Perpetual Peace and Other Writings on Politics, Peace, and History, Translated by David L. Colclasure, (Yale University Press New Haven and London,2006), p.1-4.

[1] تورين، ألان، *نقد الحداثة*، ترجمة أنور مغيث، (المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1997)، ص 39.

[2] أسست الوضعية بماديتها لتجذير فكرة التخلي عن الإله إلى العقل المطلق الذي آمنت به، العقل الذي سمي فيما بعد في المدرسة النقدية بالعقل الأداتي. وكان نيتشه هو من تولى كبر صرخة موت الإله، وبدءًا بهايدجر ووصولًا إلى فوكو تم طرح فكرة موت الإنسان.

[3] بلعقروز، عبد الرزاق: *المعرفة والارتياب: المساءلة الارتيابية لقيمة المعرفة عند نيتشه وامتداداتها في الفكر الفلسفي المعاصر*، (منتدى المعارف، بيروت، 2013)، 101.

[4] نيتشه، فريدريك، *إرادة القوة: محاولة لقلب كل القيم*، مرجع سابق، ص 214.

[5] تورين، ألان: *نقد الحداثة*: مرجع سابق، ص131.

[6] طودوروف، تزفيطان، *الأدب في خطر*. ترجمة عبد الكبير الشرقاوي، (الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، ط/1، 2007)، ص40.

ISSN : 2410-1818

لتفكك مرجعيات النظر والرؤية، وأدى إلى نشوء نظريات هامشية تتنكر للنظرية، تحاول أن تحلَّ نفسها بديلاً عن الاتجاهات الفلسفية المركزية السائدة.

لقد كان الشك واحدًا من أهم السمات التي تميزت به الحداثة، لكنه الشك في سبيل الوصول إلى يقين ما، كان شكًّا يبحث ويحلل وفق مرجعية يستند إليها، باحثًا عن هدف ما، لكنه بعد ذلك أضحى شكًّا لأجل الشك نفسه، واسترابةً من كل ما هو يقيني أو يدعي اليقين. وليس رواد ما بعد الحداثة وحدهم من وصلوا إلى مرحلة الإغلاق (فقد تمثل دورهم بما قدموه من رؤية تنظيرية) بل تعداهم إلى الأجيال الجديدة، جيل التقنيات التكنولوجية المتقدمة، ولاحقًا جيل الإنترنت والفضاءات المفتوحة، التي لم تعد القيمة الأخلاقية تمثل عندها مكانة مركزية، ولم يعد العلم والاكتشافات العلمية تثير شغفها، ومكانة المؤسسة لديها في تراجع مستمر؛ الدولة، والمعرفة، والمدرسة، وكل ما كان يمثل مكانة في الحداثة حتى أواخر الثمانينيات من القرن العشرين.

2- أثر فلسفة الصيرورة في أدب ما بعد الحداثة:

2-1 : من كينونة الذات إلى فقد المرجعية وصيرورة التجريب:

تعكس عبارة انتقال الفكر الإنساني من الكينونة إلى الصيرورة فلسفة نيتشه؛ حيث التشكل الهلامي للأشياء والكلمات، ونفي الحقائق الثابتة، والاعتقاد بأن العالم تدفق دائم وقوة صراع، وحيث تقويض الميتافيزيقا التقليدية التي كانت تستند إلى الكينونة التي يراها نيتشه مجرد ثبات للحركة ويقينية ناجزة.

في أدب ما بعد الحداثة، يظهر تراجع مفهوم الكينونة بوصفه أساسًا لرؤية تُصدِر الفعل المنعكس عن ذات ثابتة جوهرية صلبة، ليبرز مفهوم الصيرورة التي تشكل التصورات وتُخلِّق الأشياء في هيئات هلامية مبتكرة يتم إعادة تشكيلها باستمرار، بعيدًا عن اليقينيات الناجزة ومنحى الثبات. ويظهر ذلك في الأدب في مجموعة من التمثيلات على النحو الآتي:

- **موت المؤلف:** امتدادًا لمفهوم "موت الإله" لدى نيتشه تمت إماتة المؤلف لصالح النص لدى رولان بارت، وراجت تلك الرؤية في فكر ما بعد الحداثة وما أنتجه الأدب في ذات السياق؛ حيث أُسقطت السلطة المرجعية في النص، وأصبح القارئ شريكًا في صناعة المعنى وصيرورته، وتحول النص من كينونة مغلقة تختزن المعنى إلى صيرورة قرائية مفتوحة ومتجددة.
- **موت النص:** بعد إماتة المؤلف لصالح النص لدى رولان بارت، تمت إماتة النص لصالح التناص لدى جوليا كرستيفا، ليعني التناص، في بعض معانيه، إعادة التدوير، حيث يستحضر الأدب نصوصًا سابقة ليعيد إنتاجها في تشكلات جديدة، متماشيًا مع رؤية نيتشه في العود الأبدي، وحيث المعنى يعود في صور وتشكلات جديدة مختلفة، تخلخل مركزية النص ووحدته العضوية التي كان النقد الجديد قد دفع بالتفكير فيها قدمًا إلى الأمام.

ISSN : 2410-1818

- **تقويض السرديات الكبرى:** في أدب ما بعد الحداثة يمكننا أن نلحظ تراجع الأدب عن القضايا المركزية المستندة إلى السرديات الكبرى[1] التي كانت سمة مركزية في أدب الحداثة، كما يمكننا أن نلحظ تجاوز أدب ما بعد الحداثة الاشتغال بالأفكار الباحثة عن الحقيقة المطلقة، وتجاوزها إلى الاشتغال بالبحث عن المخالف، والاحتفاء بالسالب، وتجريب الجديد. ليس ثمة قيمة مركزية، أو معنى ثابت أو رؤية واحدة، بالضرورة، والمعرفة بالمعنى المفهومي السائد مستحيلة؛ فـ"المعرفة في ذاتها مستحيلة في الصيرورة"[2] كما يرى نيتشه، والحقيقة منعدمة لا مجرد غائبة. إحدى وظائف السرد في كثير من الروايات في ما بعد الحداثة هو تقويض يقينيات الحداثة والسرديات الكبرى؛ يفكك دوغمائية الأيديولوجيات المنغلقة، ويعري الخطاب السائد، ويستبدل بالسرديات الكبرى سرديات صغرى من وجهة نظر المهمشين والمهزومين.
- **تقويض مفهوم البطل**: بطل ما بعد الحداثة هو المهمش، والمتشظي، يعيد تعريف ذاته مع كل تشكل جديد، بعيدًا عن البطل الكلاسيكي المجيد صاحب النبل والصفات المتعالية.
- **الأصوات المتعددة:** انتقل أدب ما بعد الحداثة في أساليبه السردية من الصوت الواحد (أو الأصوات المتعددة الباحثة عن حقيقة ما كما هو الحال عند دوستويفسكي في الإخوة كارامازوف) إلى التشكيك في وجود أية حقيقة من الأساس، وإلى الاحتفاء بتعدد الرؤى؛ فلا مرجعية واحدة للأفكار، ولا معنى ثابت للنص، ولا مركز مهيمن على المعنى. وفي مقابل الراوي العليم الذي يمثل كينونة ثابتة ومركزًا أساسيًا في السرد الحداثي، يتجه السرد في ما بعد الحداثة نحو الأصوات المتعددة، التي تقدم شهادات تقابلية حدَّ التناقض، ترسم فيه المشهد الإنساني بكل تناقضاته، والتي تجسد بمعنى ما صيرورة نسبية يستحيل معها أحيانًا التحدد والوصول إلى كينونة الحقيقة في منحى دال على التشكل والاختلاف والتنوع وإمكان الفكرة ونقيضها، في مقابل الوحدة والثبات نسبيًّا في أدب الحداثة.
- **الذات المتشظية في محل الذات الكائنة وجوديًّا**: في مقابل الشخصية الروائية الكلاسيكية ذات التطور الخطي، وفي مقابل الذات الديكارتية الصلبة ذات الهوية المتماسكة، تبرز في أدب ما بعد الحداثة الذاتُ المتشظية ذات الأبعاد المتعدد والهويات المختلفة في الأدب والسرد الأدبي على وجه

---

[1] السرديات الكبرى Grand Narratives مصطلح صكه جان فرانسوا ليوتار Jean-François Lyotard (1924- 1998)، في كتابه المشهور "الوضع ما بعد الحداثي"، لتأكيد سقوط "النظرية الكبرى" (الأنساق الفكرية المغلقة)، وسقوط الأفكار الخطية المتسمة بالوثوقية، كالقول بتقدمية حركة التاريخ والجنس البشري، والإنسانوية، والعقلانية، والحرية بوصفها مقصدًا غائيًّا. ينظر:

Lyotard, Jean-François, *The Postmodern Condition: A Report on Knowledge*. Translation by Geoff Benning ton and Brian Massumi, (Manchester University Press, 1984).

[2] نيتشه، فريدريك، *إرادة القوة محاولة لقلب كل القيم*، مرجع سابق، ص223.

ISSN : 2410-1818

التحديد، بفعل الاغتراب والتخلخل الدائم، في إطار زمن دائري تشعبي أو تجددي انبعاثي يقارب مفهوم العود الأبدي ومفهوم الصيرورة لدى نيتشه. لاحقًا ستطور ما بعد البنيوية مفهوم الذات إلى كونها نسيجًا مركبًا من خطابات وممارسات تاريخية تكونت بفعل التحولات الاجتماعية، وذلك ما يقربها من مفهوم الصيرورة، "...وهذا الموقف الذي سيدافع عنه فوكو بعد انتصاره لذات تاريخية في مقابل ذات كونية كانطية"[1].

في مقابل الذات السردية الكائنة وجوديًا في الرويات الحداثية مثل: "العم توم" لهرييت ستاو في رواية "كوخ العم توم" (1852)، و"يوليسيس" لجميس جويس في روايته "يوليسيس" (1922) الطويلة المشتهرة نقديًا بتقنية "تيار الوعي"، و"سانتياجو" لهمنغواي في روايته "الرجل العجوز والبحر" (1952)، برزت الذات المتشظية في أدب ما بعد الحداثة لتحل محل تلك الذات الكائنة وجوديًا، وليحل الصمت والمنولوج الداخلي محل الكلام، واللاتحدد محل ما يمكن تحديده، كما هو حال "كلود سيمون" في رواياته مثل "في طريق فلاندرا"؛ من حيث: تحويل الأحداث التاريخية المعقلنة (نسبيًا) إلى مجرد تداعيات عبثية لا خطية تفقد المنطق والسببية، وحيث يتفتت وعي الذات وتتشظى كينونتها، وحيث اعتماد الميتاقص الذي يعلن عن نفسه أنه مجرد صنعة تفقد العلاقة بالواقع، وتتعدم فيه الحبكة. وكما هو حال كتابات "بيكيت" في مسرحه العبثي (مسرح اللامعقول) مثل مسرحيته المشهورة "في انتظار غودو؛ من حيث: تفكيك فكرة الخلاص، وفقدان الذات الاتصالَ بالواقع، والدوران في زمن متداخل، وانهيار البناء الحواري المعرفي التقليدي.

- **التجريب وتداخل الأجناس الأدبية**: من أبرز سمات ما بعد الحداثة الإغراق في مزيد من السيولة في التجريب وتداخل الأجناس الأدبية. كانت الأجناس الأدبية (الرواية، والشعر، والمسرح...) أجناسًا قائمة بذاتها، لكل جنس هويته ومحدداته، ثم جاءت سيولة النص في أدب ما بعد الحداثة لتكسر الكينونة الخاصة بكل جنس، ولتعلن ألا هوية خاصة أو مغلقة بالضرورة للجنس الأدبي، ليحل التجريب محل القواعد الصارمة والنمط، تماهيا مع مفهوم الصيرورة في أن العالم في تحول دائم وخلق متجدد لا معطى ثابت أو شكل نمطي دائم؛ ومن ثم فالتجريب والتداخل أمران ضروريان، وفقًا لما بعد الحداثة.

يَسِمُ إيهاب حسن ما بعد الحداثة بسمة مركزية هي اللاتحديد، ويفصل بقوله: "وأعني باللاتحديد، أو من الأفضل المبهمات، مركبا من الاتجاهات يشمل الانفتاح، التشظي، الالتباس، الانقطاع، اللامركزية، الهرطقة، التعددية، التشويه، التي تؤدي كلها إلى امتناع التحديد... وتتحرك من خلال كل هذه المفاهيم إرادة واسعة للهدم... وفي مجال الأدب وحده صارت أفكار المؤلف،

[1] بغورة، الزواوي: مدخل إلى فلسفة ميشيل فوكو، دار الطليعة، بيروت، ط/1، 2013، ص236.

ISSN : 2410-1818

والجمهور، والقراءة، والكتابة، والكتاب، والنوع، والنظرية النقدية، بل والأدب نفسه، فجأة موضع شك"[1].

2-2: من ذكورية التنوير وأنثوية الحداثة إلى خنثوية ما بعد الحداثة: تشظي الكينونة الجنسية:

كان التنوير ذكوريًّا بامتياز، بفكره الفلسفي الصلب الذي لم يتخلَّ يومًا عن العقلانية، وبفكره الأدبي الجمالي الذي ظل وفيًّا للتفكير المثالي، وإن انفلتت فنونه أحيانًا عن التسلسل العادي وخالفت النمط المعهود. وشيئًا فشيئًا تأنّثت فنون الحداثة بقدر تأنّث الفكر منذ الرومانسية في بدايات تشكلها مهتمةً بالخيال وبالأحاسيس الداخلية. شكل البحث عن عالم عاطفي ينأى عن العقل ويبحث عن صفاء الحقيقة أنثويةَ التفكير والنظر في الفكر الأدبي الحديث، الذي ولَّد الرواية الحديثة والمسرح الحديث في دفقهما الإنساني، وولد الشعر المتدفق بأنهار الشعور.

قدمت الحداثة الجمالية، منذ شارل بودلير Charles Baudelaire (1821 – 1867)، مغايرةً ملموسةً أكثر انشقاقًا عن ذكورية التنوير وأكثر إيغالًا في التأنث. وكانت عبارته المشتهرة في مقالته "رسام الحياة الحديثة" حاسمة بين حالتين، وفاصلة بين زمنين، تلك العبارة التي أسست للتَّجْسير بين الانتقالي والعابر والعارض من جهة والخالد والثابت من جهة أخرى[(2)]، ومثلت نقلة ملموسة تجسدت في قصيدة النثر التي ابتكرها.

وبتأثير من فكر نيتشه في تقويض مفهوم الكينونة مثلت الخنثوية بمعناها الفلسفي والجمالي أحد أوجه الصيرورة في التمثيل الجسدي والهوياتي. ظل الأدب معبرًا على امتداد الأزمنة عن هوية جنسية محددة، غير أن ما بعد الحداثة، متأثرة بجذور الفكر النيتشوي ومن ثم بفوكو ودريدا، فككت هذه الهوية الثنائية، لتحل محلها الشخصية السيالة الهجينة التي تتجاوز الجندر الثابت.

ومنذ امتدت الحواس مع التكنولوجيا المعاصرة، وثقافة الصورة السينمائية المتحركة، في النصف الثاني من القرن العشرين، بدأ الفكر الأدبي يخطو خطواته نحو تجاوز أنثوية الحداثة باتجاه خنثوية التفكير والنظر، الباحثة عن مشرب جديد في الفكر الأدبي، الفكر الخنثوي الذي تختلط فيه الحقيقة بالزيف، والواقع بالافتراضي، والحركي بالثابت، والذكوري بالأنثوي، تعبر فيه اللغة

---

[1] حسن، إيهاب: *تحولات الخطاب النقدي لما بعد الحداثة*، إعداد وترجمة السيد إمام، دار شهريار، البصرة، ط/1، 2018، ص28.

[(2)] تنظر عبارته المشتهرة في كتابه "رسام الحياة الحديثة: " أعني بالحداثة الزائل، الهارب، العرضي، نصف الفن الذي نصفه الآخر هو الأبدي والثابت". ونصها:

"By 'modernity' I mean the ephemeral, the fugitive, the contingent, the half of art whose other half is the eternal and the immutable".

Baudelaire, Charles. *The Painter of Modern Life and Other Essays*, Translated and Edited by Jonathan Mayne. (Phaidon Press 1964). p. 13.

ISSN : 2410-1818

الساردة عن شخصيات هجينة تلعب بالضمائر في مقابل اللغة الذكورية الأبوية في ما قبل الحداثة واللغة المتأنثة في أدب الحداثة.

لم تخل الأزمنة السابقة من فكرة الخنثوية، غير أنها قديمًا لم تعنَ بالتصادم مع مفهوم الكينونة؛ تعود إلى المركز، وتبحث عن الأصل الثابت، أما في ما بعد الحداثة فإن الخنثوية فكرة تعنى بالصيرورة والتحول؛ ترفض الهويات الحتمية، وتقوض المركز. في روايتها المشهورة "أورلاندو" 1928 لفرجينيا وولف Virginia Woolf 1882-1941، تتحول شخصية أورلاندو من ذكر إلى أنثى، وعبر ثلاثة قرون تعبر الشخصية تعدد هوياتها، من ذكورية التنوير إلى أنثوية الحداثة، في زمن دائري متشعب، وفي هجنة أجناسية أدبية واضحة (سيرة ذاتية وتاريخ وسرد وشعر)، غير أن الكاتبة، وهي تستبق ما بعد الحداثة وتشكل بطلها في ذات سيالة تتجاوز مركزية الجندر، لم تكن تتقصد تقويض المركز، ولم تعنَ بالتصادم مع مفهوم الكينونة بالضرورة.

تُجسِّد النظرية النسوية Feminist Theory ونظرية الكوير Queer theory وكثير من الدراسات المتمخضة عن أفكارهما (في النظرية الاجتماعية وفي النظرية الأدبية) أنموذجًا صارخًا لتلك الخنثوية التي تتماهى فيها الحدود؛ رؤيةً، وممارسةً. كانت البداية مع مفهوم الأسرة، الذي تعرض للتجريف عبر المفهوم الخنثوي المخاتل "الهوية الاجتماعية للنوع" Gender Identity، ثم مع كثير من التأويلات في حقل الدراسات الأدبية والدراسات الثقافية التي تُرْجِع عواملَ تكون كثير من الظواهر والأحداث إلى إشكالات مرتبطة بالمثلية والدور الاجتماعي، بدعوى تفكيك الهياكل وتفتيت السلطة. وقد كان ذلك تجسيدًا للشك في كل ما كُتب عن المرأة من قبل الرجل، بحسب عبارة سيمون دي بوفوار Simone de Beauvoir 1908 – 1986 المشهورة[1]؛ "فالإنسان ليس نوعًا طبيعيًّا، بل فكرة تاريخية، والمرأة ليست حقيقة ثابتة بل صيرورة"[2]. ومن ثم ترى تلك الدراسات أن علينا إعادة النظر في تفسير الأحداث والظواهر، تاريخيًّا وفي الحاضر، وإعادة النظر في أنظمة الخطاب السلطوية وتفكيكها من منطلق علاقات الهيمنة، كما يذهب فوكو الذي يقول في كتابه إرادة المعرفة: "علينا أن نحدد نظام السلطة-المعرفة-اللذة، في سيرورته ومبررات وجوده،...باختصار، فإنّ النقطة الخطابية

---

[1] تنظر عبارة سيمون دي بوفوار: "كل ما كتبه الرجال عن النساء، يجب أن ينظر إليه بريبة": في

Beauvoir, Simone: *The second sex*. Translated by Constance Borde & Sheila malovany-Chevallier. Vintage Books. (New York, 2011). P. 30.

[2] Ibid. p 68:

"As Merleau-Ponty rightly said, man is not a natural species: he is a historical idea. Woman is not a fixed reality but a becoming; she has to be compared with man in her becoming; that is, her possibilities have to be defined".

ISSN : 2410-1818

الإجمالية هي وضع الجنس في الخطاب"[1]؛ لقد كان عداء فوكو للتنوير والحداثة قادمًا من كونهما أفرطا في معاقبة الجسد، وأنهما من حول المثلية إلى شذوذ، فـ"قد كانت الأجساد تتبختر"، قبل العصر الفيكتوري بحسب تعبيره[2].

يمكننا إرجاع إيغال النسوية في التشظي والتماهي الجندري إلى وصولها إلى مرحلة اليأس من إيجاد واقع مغاير يحقق طموحاتها، تلك التي ناضلت من أجلها قرنًا من الزمن ولم تصل إلا إلى مزيد من العناء، تكشفه الإحصاءات واقعه بمرارة. ويمكننا إرجاع إيغال ما بعد الحداثة في خنثوية الرؤية والنظر إلى طبيعة التداخل الذي وفرته ثقافة العولمة من التداخل الصوري الحركي الذي ولّد تماهي الحواس وتداخل عملها، بما يشي بخنثويةٍ داخلية تشكلت بفعل الهويات المتعددة غير المرئية في الذات المتشظية التي عكست واقعنا المعاصر.

إنها التحولات نحو التماهي والتداخل، التحولات نحو أفق جديد يتطلع إلى الخلاص من الثنائيات الحادة التي وصل معها الفكر الإنساني برمته، فلسفيًّا وأدبيًّا، التحولات إلى مرحلة اللاتصالح مع السياق التاريخي السلطوي، التحولات إلى حالة القطيعة مع فكرة الذات الديكارتية الصلبة (التي تُصْدِر الفعل وتُصْدِر الوعي)، لتستبدل بها الذات المتشظية، ذات ما بعد الحداثة؛ حيث تَحِلُّ ثقافة الحركة السريعة محلّ الصورة الثابتة، انفلاتًا من التأمل، وتتداخل الأجناس الأدبية لتحلَّ محلَّ التحديد والتسييج؛ تعبيرًا عن أفقٍ جديد، ويهاجر مفهوم البطولة نحو عالم افتراضي وسحابي، تجسيدًا لهجرة معاكسة، تشظي كل المفاهيم السائدة، وتتماهى مع مفهوم الصيرورة النيتشوي.

---

[1] فوكو، ميشيل: إرادة المعرفة، ترجمة مطاع صفدي وجورج أبي صالح، مركز الإنماء القومي، بيروت، ط/1990، ص34.

[2] فوكو، ميشيل: تاريخ الجنسانية 1 إرادة العرفان، ترجمة محمد هشام، أفريقيا الشرق، 2004، ص5.

ISSN : 2410-1818

الخاتمة والتفكر:

مثل التحول في الرؤية الكلية للوجود من الكينونة إلى الصيرورة لدى نيتشه مغايرة واضحة المعالم في فلسفته وفي أثرها في الرؤية وفي الأدب؛ من حيث التأسيس للعدمية، وتقديم اللامعقول على الفعل المعقلن. وقد وقفت الدراسة على هذا التحول في الرؤية وحاولت رصد أبرز تمثيلاته. حيث التأسيس المنهج للانسقي واللامرجعي، وحيث تلاشي مفهوم الذات بالمفهوم الديكارتي، وحيث لا متعاليات، ولا مرجعيات.

مثلت فلسفة نيتشه في الصيرورة مرجعية أساسية للأفكار التي سادت في تصورات ما بعد الحداثة وفي الأدب ما بعد الحداثي؛ فأدب ما بعد الحداثة من حيث الرؤية أدب تقويضي بلا مركز ثابت بالضرورة، ومن حيث البناء أدب تجريبي تتداخل فيه الأجناس، ويتشظى فيه الزمن ويتداخل، ونهاياته مفتوحة على احتمالات متعددة. لا تقتصر فيه الرواية على حكاية القصة، بل تصبح مادة للتفلسف وإبراز وجهات النظر المتعددة، دون الاحتكام إلى مرجعية، وكشافاً يبرز زيف السرديات الكبرى؛ يفضح آليات السلطة في الهيمنة، ويفكك النماذج السائدة في صيرورة متجددة تبحث عن جديد مخالف.

ويمكننا إجمالاً رصد النتائج الآتية:

- فكرة الصيرورة التي تتمثل في الحركة الدائمة والسيلان وأن التغير المستمر هو الأساس، هي فكرة قديمة قال بها الفيلسوف هرقليطس، وهي أساسٌ في الفكر المادي.
- تبني نيتشه مفهومَ الصيرورة في مقابل الكينونة، مخالفاً بذلك جمهور الفلاسفة، أساسٌ في رؤية ما بعد الحداثة.
- مثل مفهوم الصيرورة أساسًا مهما لرؤية ما بعد الحداثة؛ على مستوى الرؤية، وعلى مستوى التمثيلات على نحو ما رصدته مباحث الدراسة.
- تعد فكرة دريدا والتفكيك في عدم وجود معنى ثابت مع حركية الدوال في انتقالاتها اللامتناهية (التي تُوَلِّد مع كل مدلول جديد دوال جديدة)، أو فكرة التناص لدى جوليا كريستيفا أفكارًا تمثيلية وانعكاسًا لمعنى الصيرورة.
- بتأثير من فكر نيتشه في تقويض مفهوم الكينونة، مثَّل أدبُ ما بعد الحداثة مفهومَ الصيرورة في مجموعة من التمثيلات؛ في موت المؤلف، وموت النص، وتقويض السرديات الكبرى، وتقويض مفهوم البطل، والأصوات المتعددة، والذات المتشظية، والتجريب وتداخل الأجناس الأدبية.
- وبتأثير من فكر نيتشه في تقويض مفهوم الكينونة مثلت الخنثوية بمعناها الفلسفي والجمالي أحد أوجه الصيرورة في التمثيل الجسدي والهوياتي.

ISSN : 2410-1818

- ظل الأدب معبرًا على امتداد الأزمنة عن هوية جنسية محددة، غير أن ما بعد الحداثة، متأثرة بجذور الفكر النيتشوي ومن ثم بفوكو ودريدا، فككت هذه الهوية الثنائية، لتحل محلها الشخصية السيالة الهجينة التي تتجاوز الجندر الثابت.

ISSN : 2410-1818

المراجع والمصادر

أبو رحمة، أماني. *أفق يتباعد من الحداثة إلى ما بعد الحداثة. دمشق:* دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، 2014.

أدورنو، ثيودور، وهوركهايمر، ماكس. *جدل التنوير، شذرات فلسفية*، ترجمة جورج كتوره. بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، 2006.

بغورة، الزواوي: مدخل إلى فلسفة ميشيل فوكو، دار الطليعة، بيروت، ط/1، 2013.

بلعقروز، عبد الرزاق. *المعرفة والارتياب: المساءلة الارتيابية لقيمة المعرفة عند نيتشه وامتداداتها في الفكر الفلسفي المعاصر*، بيروت: منتدى المعارف، 2013.

تورين، ألان. *نقد الحداثة*. ترجمة أنور مغيث، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1997.

حسن، إيهاب: *تحولات الخطاب النقدي لما بعد الحداثة*، إعداد وترجمة السيد إمام. دار شهريار، البصرة، ط/1، 2018.

دولوز، جيل. *نيتشه*، تعريب أسامة الحاج، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، 1998.

صليبا، جميل: *المعجم الفلسفي*. بيروت: دار الكتاب اللبناني 1982.

طرابيشي، جورج. *معجم الفلاسفة*. بيروت: دار الطليعة، 2006.

طودوروف، تزفيطان. *الأدب في خطر*. ترجمة عبد الكبير الشرقاوي. الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، 2007.

فوكو، ميشيل: *إرادة المعرفة*، ترجمة مطاع صفدي وجورج أبي صالح، مركز الإنماء القومي، بيروت، ط/1990.

فوكو، ميشيل: *تاريخ الجنسانية* 1 إرادة العرفان، ترجمة محمد هشام، أفريقيا الشرق، 2004.

كالر، جوناثان. *النظرية الأدبية*. ترجمة رشاد عبد القادر، دمشق: منشورات وزارة الثقافة، 2004.

لالاند، أندريه: *موسوعة لالاند الفلسفية*. تعريب خليل أحمد خليل، بيروت/باريس: منشورات عويدات، 2001.

مجمع اللغة العربية بالقاهرة، *المعجم الفلسفي*. القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 1983.

النشار، علي سامي، وآخرون: هيراقليطس فيلسوف التغير وأثره في الفكر الفلسفي، دار المعارف، القاهرة، ط/1، 1969.

نيتشه، فريدريك. *إرادة القوة.محاولة لقلب كل القيم*. ترجمة محمد الناجي، الدار البيضاء: أفريقيا الشرق، 2011.

ISSN : 2410-1818

نيتشه، فريدريك. *محاسن التاريخ ومساوئه*.ترجمة رشيد بو طيب، الدوحة: منتدى العلاقات العربية والدولية 2019.

المراجع الأجنبية:

Baudelaire, Charles. *The Painter of Modern Life and Other Essays*, Translated and Edited by Jonathan Mayne. (Phaidon Press. 1964).

Beauvoir, Simone: *The second sex*. Translated by Constance Borde & Sheila malovany-Chevallier. Vintage Books. (New York, 2011).

Culler, Jonathan, *Literary Theory*: A Very Short Introduction. (Oxford: Oxford University Press, 1997).

Immanuel Kant, *Toward Perpetual Peace and Other Writings on Politics*, Peace, and History. Translated by David L. Colclasure,) Yale University Press New Haven and London,2006).

Lyotard, Jean-François, *The Postmodern Condition: A Report on Knowledge*. Translation by Geoff Benning ton and Brian Massumi, (Manchester University Press, 1984).

Newton, K. M. *Twentieth-Century Literary Theory*. (New York: Palgrave Macmillan, 2nd ed,1997).

مراجع إلكترونية:

"Postmodernism" accessed on 18/9/2021, at :https:

Heraclitus First published Thu 8 Feb, 2007
https://plato.stanford.edu/archives/fall2015/entries/heraclitus/

https://hekmah.org/%D9%87%D8%B1%D9%82%D9%84%D9%8A%D8%B7%D8%B3/

https://plato.stanford.edu/entries/postmodernism /

https://plato.stanford.edu/search/searcher.py?archive=sum2008&query=+Nietzsche

ISSN : 2410-1818

مجلـــة الأندلس للعلوم الإنسانيـة والاجتماعيـة
مجلـــة دوليـــة شهـريـــة علميـــة محكمـــة
الترقيـم الدولي الإلكتروني: ISSN:2410- 521X
الترقيـم الدولـي الورقـي :ISSN:2410- 1818
البريد الإلكتروني : journal@andalusuniv.net

المجلـة مفهرسـة فـي المواقـع الآتيـة :

العام	2021	2022	2023	2024	2025
معامل أرسيف	0.2692	0.1954	0.3759	0.3068	0.5978
معامل التأثير العربي	1.60	1.73	1.25	1.55	1.59